مَلامِح المَنْهَج التَكَامُلي في التَحْليل البَلاغي والنَقْدي عِنْد العَرب القُدامى- الجَاحِظ أُنْمُوذجا

The Features of the integrative approach in the rhetorical and critical analysis of the ancient Arabs - Al-Jahiz as a sample

بخوش آمال*
جامعة محمد خيضر –بسكرة
مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها
amal.bekhouche@univ-biskra.dz

آجقو سامية
جامعة محمد خيضر بسكرة
s.ajgou@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال: **2024-10-22** تاريخ القبول: **2024-12-17**

ملخص

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: "مَلامِح المَنْهج التَكَامُلي في التَحْليل البَلاغي والنَقدي عِند العَرب القُدامى -الجَاحِظ أُنْمُوذجا" إلى قِراءة التُراث النَقدي والبَلاغي العَربي ومُحَاولة إيجاد رَابط بين التُراث والمُعَاصَرة والبَحْث عَمَّا سَطَّره البَلاغِيون والنُقَاد العَرب مِن مُؤلفَات حَول أُصُول المَنْهج التَكَامُلي وبالتَحْديد عِند عَلم مِن أَعْلام القَرن الثَالث هِجري وهُو الجَاحِظ واسْتجلاء مَلامح المَنهج في مُؤلفاته المَشْهورة: البيان والتبيين والحيوان .

ومِنْ أَبْرز النَتائِج التي تَوصلت إليها هذه الدِراسَة هي أن التُراث هو الأصْل ولابُد من مُناقَشة مَكْنُونَاته من أجل التَأسيس لِنَظرية عَربية أصْلُها من التُرَاث وأن المَنهج التَكَامُلي ليْس جَديدا في الدراسَات النَقْدية الحَديثة وإنَّما قَدِيم في مَادتِه وأن للمَنْهج التَكَامُلي إشارات واضِحة عند

*المؤلف المراسل

الجاحظ و أنَّ رَصْد ظواهِر الحَداثة في التُراث العَربي لا يُمْكن تَحْديدها إلا إذا كَان هُناك تَصَوُّر صَحيح للقَديم لأنَّ فَهم الماضي يُعِين على فَهم المُسْتقبل.

كلمات مفتاحية: المنهج التكاملي؛ الجاحظ؛التراث ؛ البيان والتبيين؛الحيوان.

Abstract:

This titled study "Features of the integrative approach in the rhetorical and critical analysis of the ancient Arabs - Al-Jahiz as a sample" aims to read the Arabic critical and rhetorical heritage and try to find a link between heritage and contemporary and search for what the rhetoricians and Arab critics wrote about the origins of the integrative approach, specifically when One of the notables of the third Hijri century scientist named Al-Jahiz, and his illustration of the features of the curriculum in his famous books: Al-Bayan, Al-Tabyeen, and Al-Hayawan.

One of the most prominent findings of this study was that heritage is the primary source, and its components must be discussed in order to establish an Arab theory which origin is from heritage, and that the integrative approach is not new in modern critical studies. Despite of ancient in its material. the integrative approach has clear signs for Al-Jahiz and the observation of the phenomena of modernity In the Arab heritage, it cannot be determined unless there is a correct perception of the origin because understanding the past helps to understand the future.

Keywords: the integrative approach; Al-Jahiz; Heritage; books: Al-Bayan Al-Tabyeen; Al-Hayawan.

مقدمة:

إنَّ الحديث عن التُراث النقدي والبلاغي العربي وعن مَكانته في ظل المُعطيات المعاصرة أصبح أمْرا ضَروريا ، فقد حظّي بكثير من الاهتمام والرعاية من قبل الأدباء والباحثين الذين عملوا على دراسة قضاياه المتشعبة ، واستنطاق نصوصه الغنية بالفكر والمعرفة الإنسانية وعيا منهم بقيمتها العلمية الكبيرة التي من شأنها أن تكون أساسا ثابتا تستند إليه العملية

النقدية الحديثة ، فالمتأمل في بعض المقولات النقدية الحديثة يجد لها إشارات واضحة في الكتب التراثية كالمنهج الفني والتاريخي والنفسي والمنهج التكاملي وهو ما يهمنا في هذا المقام.

وقد أسهم ثلة من البلاغيين والنقاد العرب في الإشارة إلى بعض ملامح المنهج التكاملي في مدوناتهم التراثية كابن سلام الجمحي وأبي هلال العسكري والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني وضياء الدين بن الأثير وحازم القرطاجني والجاحظ الذي هو محور هذه الدراسة التي اتبعت المنهج الاستقرائي لأنه الأنسب لتأصيل الظاهرة واستجلاء ملامح المنهج التي سطرها الجاحظ في أدبه، وعلى هذا الأساس يتبادر إلى أذهاننا طرح عدة تساؤلات منها: ماهو المنهج التكاملي؟ وكيف يتعامل مع العمل الأدبي ؟ وإذا كان للمنهج التكاملي ملامح وإشارات في تراث الجاحظ فكيف تجلى ذلك ؟

1- ماهية المنهج البلاغي التكاملي:

تزدحم الساحة الأدبية النقدية والبلاغية بقضايا نقدية اتسمت بملامح حداثية ساعدت على النهوض بالفكر المعرفي مثل الشعرية العربية و التلقي والأسلوبية و البنيوية والمنهج السيميائي، وكل هذه المناهج أتاحتها لنا العلوم الإنسانية وهي أدوات مهمة لدراسة الأدب والكشف عن أسراره وآلياته وكما أنها تشكل بمجملها تطورا للذوق الجمالي والمعرفة النقدية وقد ركزت ورقتنا البحثية على المنهج التكاملي هذا الأخير كان له حضور عند العرب منذ بدايات التأليف في فن البلاغة والنقد الأدبي عند ابن قتيبة في كتابه" الشعر والشعراء" و أبا العباس ثعلب في كتابه" قواعد الشعر" وابن طباطبا في كتابه" عيار الشعر" وابن المعتز في كتابه" البديع "والجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" ، وبالتالي فنحن أمام قراءة تأصيلية تسعى إلى إثبات سبق التراث إلى كثير مما وصل إليه الفكر اللغوي المعاصر وأنه لابد من قراءته قراءة موضوعية ومنهجية متأنية وبالتالي المحافظة على مسحته الجمالية زمانا ومكانا والقدرة على تجديد منافذ التواصل معه والإفادة منه.

وكما نعرف بأن كل باحث يهتم بالنقد يجب عليه الإلمام بالمناهج النقدية القديمة والمعاصرة وما تطرحه تلك المناهج من أفكار ومعتقدات من شأنها أن تحدد طبيعة الأثر الأدبي وفق كل منهج اختص بدراسته ، وما نلاحظه في الزمن الحديث أن الاتجاهات

النقدية قد تعددت وأخذت منحنيات مختلفة ، وهذه المناهج النقدية هي نتاج ثقافي ونقدي متراكم لها غاية فهم وتحليل النصوص الأدبية وظهرت في القرن العشرين مجموعة من المناهج اللغوية كالشكلية والبنيوية والأسلوبية والتفكيكية تنطلق في تناول النص من بنيته اللغوية لتكشف عن أسراره وجمالياته.

و قضية المنهج النقدي من القضايا النقدية التي كان لها حضور فعال في الخارطة التراثية القديمة وبالتحديد في العصر العباسي أين بدأت العقول تتطور و اتسعت المعارف و نضج التفكير العربي فانتقل من المرحلة الذوقية التأثرية إلى التفكير المنهجي الذي يقوم على مقاييس وقواعد علمية دقيقة وظهرت مؤلفات منهجية عديدة مثل كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ و"الموازنة "للأمدي و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني و"الكامل" للمبرد و"الصناعتين" للعسكري و"البيان والتبيين"، "الحيوان" للجاحظ ولاتزال هذه المدونات التراثية الثمينة تحظى باهتمام الكثير من النقاد والأدباء والباحثين المعاصرين لأنهم على علم بأن أي عملية نقدية ناجحة تستند إلى منهج ينظمها ويقومها ليسهل عليها الوصول إلى نتائج دقيقة أي أن المنهج في النقد الأدبي ضرورة حتمية.

يعرف يوسف وغليسي المنهج بأنه مجموعة من الأشكال والأدوات الإجرائية المنبثقة عن فكر نظري شامل إلى العمل الأدبي ، أو ما ينبثق عن أساس فلسفي أو فكري يستخدمه الناقد في استقراء النص وتوضيحه .1وبالتالي هو سلاح يستعين به الناقد أثناء تقويمه للعمل الأدبي والبحث عن بنياته الجمالية .

وكما نعرف بأن كل باحث مختص في مجال النقد يجب عليه الإلمام بهذه المناهج النقدية القديمة والمعاصرة وما تطرحه تلك المناهج من أفكار ومعتقدات من شأنها أن تحدد طبيعة الأثر الأدبي.

[1]ينظر: غليسي يوسف (2002) الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض بحث في المنهج وإشكالياته، د.ط، اصدارات رابطة الإبداع الثقافية ،الجزائر، ص:24

والبحث عن أهمية المنهج النقدي هنا يقودنا بالضرورة إلى ضبط مفهوم المنهج التكاملي باعتباره موضوع الورقة البحثية التي تحاول أن تزيل الغبار عن أصوله الفكرية في الطروحات العربية الأصيلة.

وعندما نذهب إلى معنى التكامل نجد ما يلي:

التكامل في اللغة نجده واضحا ويعني اكتمال الشيء.

أما في الاصطلاح عرفه أحد النقاد بأنه ممارسة نقدية تجمع بين المعطيات الفنية والتاريخية والأبعاد النفسية والاجتماعية ويؤمن بفكرة عدم قدرة المنهج الواحد على فهم النص واستنطاق بنياته... [1]وبالتالي فهو يسعى إلى الاستفادة من عدة مناهج وبأبرز آلياتها وأساسياتها من أجل الخروج من مشكلة ضيق المنهج الواحد .

و رغم اختلاف رؤى النقاد في تقديم تعريف واضح المعالم للمنهج التكاملي إلا أن تعريفاتهم تصب في بوتقة واحدة هي أن المنهج التكاملي في التحليل النقدي والبلاغي يتعامل مع النص الأدبي من جميع جوانبه ويستند إلى علوم البلاغة الثلاثة التي تعطي صورة كاملة عن النص.

والمنهج التكاملي هو منهج قديم جديد لأن له جذورا عريقة وأصولا قوية في صرح بلاغتنا العربية وإن لم يسموه بهذا الاسم.[2]أي أنه كممارسة وجد منذ القديم ونجد له إشارات واضحة في متون المؤلفات العربية وجديد لأن التعامل به كان قائما عند العرب في بداية العصر الحديث مع السيد قطب وطه حسين وشوقي ضيف وانقسم فيه الأدباء إلى فريقين فريق مؤيد يرى في المنهج التكاملي المنهج الأمثل لتحليل النص والإحاطة بكل جوانبه، وبالتالي

[1]ينظر: روابح منال (2018) الخطاب الأدبي وفق المنهج المتكامل بين التنظير والتطبيق –التجربة النقدية العربية أنموذجا ، ص:3

[2]ينظر: محمد أبو العلا الحمزاوي، المنهج المتكامل في البلاغة والنقد بين القدماء والمحدثين رؤية وتطبيق ص:9

تجاوز السطحية وضيق المنهج الواحد، وموقف معارض يراه غير مناسب لأنه يقحم على النص عدة مناهج ربما لا تخدمه.

وبالتالي هذه المفردات التي تطل علينا برأسها من وقت لآخر من الغرب تارة ومن الشرق أخرى ماهي إلا تسميات جديدة لمسميات قديمة أو تعديلات لها فيتلقاها بعض أبناء هذه الأمة بدهشة وإعجاب ظانين أنهم وقعوا على كنز ثمين أو وجدوا ضالة طالما بحثوا عنها غير مستوعبين أنهم يعبرون بصنيعهم هذا عن جهل بتراث أمتهم .1وقد نالت النظريات الجديدة لدراسة النص الأدبي إعجاب العديد من الباحثين العرب إلا أنهم قلدوها بشكل خاطئ متغافلين عن جهود تراثهم الأصيل.2

2- تمثلات المنهج التكاملي عند الجاحظ:

وعملية قراءة النص الأدبي قد تطورت وتغيرت من القراءة الانطباعية الذوقية إلى القراءة العلمية المنهجية ، كما انتقلت من السياق إلى النسق و كانت اللسانيات الحديثة منطلقا للمناهج النقدية النسقية (النصية) التي تعددت اتجاهاتها الفكرية.

والمنهج التكاملي من بين المقاربات النصية التي حظيت باهتمام الأدباء والباحثين قديما وحديثا ، إذ ما فتئت الدراسات والأبحاث المعاصرة تناقش قضاياه باهتمام شديد، فهو ينظر إلى النص من عدة جوانب صاحب النص، الأفكار والرؤى والجو العام والعاطفة والمعنى وكذلك الصور والأخيلة ومالها من أثر والألفاظ والأساليب ومدى ملائمتها للسياق وفنون البلاغة كلها، وبالتالي يتناول كل زوايا النص ليكشف عن القيمة الجمالية للأعمال الأدبية.

---

[1] ينظر: مريم محمود علي البصول(2012،2013) الأنظمة السيميائية في التراث العربي (دكتوراه) ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك، الأردن ، ص: 129

[2] ينظر: محمد حسين عبد الله المهداوي (2004) نظرة في الأسلوب والأسلوبية محاولة في التنظير لمنهج أسلوبي عربي ، مجلة أهل البيت ، العدد الثاني ، ص: 162

وعلى الرغم من أن الفكر النقدي العربي القديم لم يمتلك ناصية النقد الوصفي الدقيق، إلا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نغفل تلك الإشارات والملامح التي تتصل ببعض آراء وقضايا المناهج الغربية الحداثية.

وبما أن النقد الأدبي مجال واسع وثري لأنه مجال يعتمد أولا وأخيرا على الذوق الأدبي ومهما قدم فيه من النظريات والمناهج فهي قابلة كل يوم للتجديد والتغير بحسب ما يتراءى لكل ناقد ، ولهذا فالفرصة مهيأة لكل دارس أن يدلي بدلوه في هذا المجال ويقدم خلاصة فكره ورؤيته الخاصة فحتما سيكون فيها جديدا إلى صرح الدراسات النقدية ولهذا السبب أردنا تقديم نصوص تراثية تؤكد أصالة المنهج التكاملي عند الجاحظ.

والجاحظ أحد كبار متكلمي المعتزلة في عصره يتبع في مؤلفاته على هذا المنهج في التحليل البلاغي الذي يتجنب التحديد والاصطلاح والقواعد و يبدأ بالنص ليبين جوانب الجمال فيه ويركز على الجوانب الفنية والانطباعية التي تلون كل عمل أدبي من الأعمال- وإن كان يكتفي بالإشارة السريعة واللمحة الدالة – ولكن عبارته المنتشرة بين النصوص الكثيرة التي ساقها في هذا الصدد تمثل ملامح لهذا المنهج المتكامل.1

والمتأمل في كتابه البيان والتبيين يجده نصا تراثيا ينجذب إليه الكثير من الدارسين ففيه خصائص لغوية ودلالية، كما تجد فيه ملامح لعدة مناهج نقدية كالمعطيات التاريخية والنفسية والفنية وكل هذا يعود لاختلاف مشاربه العلمية وآرائه العلمية والمعرفية ومنطلقاته المنهجية كما يدل على قوة النقد الموضوعي عند الناقد وحسن تعليله للأشياء.

و الجاحظ من كبار أئمة الأدب ومن أوائل العلماء الذين بحثوا في البلاغة عن علم المعاني، هذا الرجل الفذ و الخطيب اللامع لا تزال مدوناته التراثية مقصد كل دارس يسعى إماطة اللثام عن عديد المسائل النقدية البلاغية، يؤكد في كتابه الحيوان بأن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص:11

وتخير اللفظ... وأن الشعر صناعة....1والجاحظ في مقولته لا يقصد الطعن في المعاني بل الطرح هنا يقصد به لا محدودية المعاني عبر الزمن بالإضافة إلى تأكيده على أهمية الصياغة واختيار الألفاظ المناسبة للمعاني وهنا يبرز المنهج الفني .

و حديثه عن التماسك بين الكلمات في النظم(الشعر) وملائمتها لبعضها البعض وجودة السبك وأن الشعر فن وضرب من التصوير يحتوي جانبا كبير من المنهج المتكامل الذي نتحدث عنه وعلى لسان أهل الحديث (المنهج الفني) الذي يظهر فيه جانب التأثر من جانب القارئ وهو تأثر مبني على الذوق والشعور ببلاغة اللغة ودقة التصوير فيها وعلى التجارب الشعورية من خلال كثرة القراءة في كتب الأدب ، وينظر فيه إلى القيم التعبيرية والوجدانية وهو ما يتميز به الجاحظ.2 أي أن الألفاظ تابعة للمعاني فاللفظ جسد وروحه المعنى فلا يمكن تسمية الشيء قبل أن يتحدد معناه ومتى كان اللفظ شريفا كان المعنى شريفا والعكس.

ومن بين ملامح المنهج التكاملي في كتابات الجاحظ وجود نظرات نقدية تاريخية تارة ونفسية تارة وفنية تارة أخرى، وبالتالي يجمع بين عدة جوانب معرفية في كتاباته من أجل تقديم رؤية شاملة للظواهر وهذا ما يعكس رؤيته التكاملية.

1.2المنهج التاريخي:

والمنهج التاريخي من بين المناهج النقدية السياقية التي دعت إلى التمسك بالمعطيات التاريخية في تحليل الأعمال الأدبية ، وقد عرف هذا المنهج شيوعا كبيرا في أوساط النقاد القدامى ومن أبرز المدونات التراثية التي تؤكد على أصالة هذا المنهج النقدي نجد كتابي

[1]ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(1965،1385) الحيوان، تح: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ،ص:132/131/3

[2]ينظر: سيد قطب(2003، 1424)، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الطبعة الثامنة ،دار الشروق ،ص:132

"الحيوان "والبيان والتبيين" للجاحظ ،حيث نلاحظ أنه يوظف المنهج التاريخي في عدة مواضع وسنحاول الاستشهاد ببعض النصوص التي أوردها.

و كتاب الحيوان تظهر قيمته في أخباره الأدبية والتاريخية مثل حديثه عن التراث الإسلامي و الشعر وأخبار الأدب والفلسفة الهندية واليونانية وذكره القصص المتعلقة بعلم الحيوان وبالتالي يعرض معلومات عن الحيوانات بأسلوب علمي إضافة إلى ذكره للحكايات والأساطير وبالتالي تقديم رؤية شاملة للأشياء.

أكد الجاحظ على أهمية رواية الأخبار والسير التي تحفظ تاريخ الأمة من الزوال فالتاريخ هو العمود الذي يبنى عليه مستقبل الأمة حيث يقول بأنه لولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ...ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق علينا فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا مالم نكن ندركه إلا بهم ...[1]

فلولا تدوين الأوائل لعلومهم ومعارفهم لضاع الكثير، فالقديم دائما هو القاعدة المتينة لبناء المعرفة واستمرارها وبالتالي مساءلة الموروث النقدي ضرورة حتمية .

و في البيان والتبيين تحدث الجاحظ عن مكانة البيان العربي ولهجات العرب في البدو والحضر ثم تكلم على الشعراء والخطباء والنساك والمعتزلة .

كما أشار إلى الرهبان وعوائدهم و التناسخ عند الهنود والزهد والمواعظ ونصائح اليهود والمسيحية[2]

2.2المنهج الفني:

قبل أن نقف على حيثيات المنهج الفني في نصوص الجاحظ سنقف عند كلمة الفن والذي يعرفه أحد الباحثين بأنه كل عمل راق يسعى لخلق ما هو جميل من الصور والأصوات

[1] ينظر: أبو عثمان بن بحر بن محبوب الجاحظ، الحيوان،ص:1/86،85

[2] ينظر: جورج غريب (1967) الجاحظ دراسة عامة ، دار الثقافة ، بيروت، ص: 98،97

والحركات والأقوال [1] وبالتالي فهو مرتبط بالجمال والجاحظ كان يستخدم الفن كوسيلة لتوضيح الأفكار و أن الفنون الأدبية يجب أن تكون متصلة بالثقافة .

أما المنهج الفني فهو من بين مناهج النقد الأدبي التي تدرس النص من الداخل وتعتمد النظر إلى جمالية العمل الإبداعي ،وتجلت بعض ملامحه عند الكثير من النقاد العرب القدامى الذين أولوا عناية خاصة بالنص الأدبي من حيث ألفاظه ومعانيه وصوره الفنية وتمييزهم النصوص الجيدة من الرديئة وما فيها من عيوب كالآمدي في كتابه "الموازنة بين الطائيين" والجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" وعبد القاهر الجرجاني في كتابه" دلائل الإعجاز "وضع قواعد فنية للبلاغة العربية من خلال نظرية النظم والتي تؤكد أن اللفظة المفردة لا قيمة فنية لها إلا في علاقتها بما يليها من الألفاظ ،أي أن الجرجاني يركز على نظام العلاقات بين الألفاظ وحسن التركيب بينها.

أكد على فصاحة اللغة وحسن انتقاء الألفاظ والطبع والتكلف و نراه في قوله: إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد ... [2] أي الاهتمام بالنص وذلك بالحفاظ على اللغة والكلام الفصيح المبني على الألفاظ السهلة وتجنب الوعر منها والمستكره .

ويضيف أيضا أن أجود الشعر ما كان متلاحم الأجزاء سهل المخارج ...[3]

3.2المنهج النفسي: لم يخل النقد العربي القديم من ملامح هذا المنهج الذي يرتبط بالأحاسيس الإنسانية ويقيس العمل الأدبي بمقدار تأثيره في نفس السامع ، ولا شك أن علاقة الانفعال بالعمل الأدبي وجدت منذ القدم وبرزت بشكل واضح عند العديد من النقاد العرب منهم ابن الرشيق وحازم القرطاجني وبشر بن المعتمر وأبو هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني والقاضي الجرجاني خاصة في تفسيره للملكة الشعرية بأنها ترجع إلى عدة عوامل نفسية كالطبع والرواية والذكاء ويراها تؤثر في الإبداع.

---

[1]ينظر: منير سعدي (1434،2013) مفهوم المنهج الفني عند سيد قطب وعلاقته بنظرية الجمال الفني في القرآن الكريم، مقال مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية العدد السادس جويلية، ص:249

[2]ينظر: الجاحظ ،(1995)البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ص:24

[3]ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص:67

ولا نستطيع أن ننكر أن الجاحظ يعد في زمرة الباحثين الجماليين ... وأنه في نظريته هذه خاضع لنظرية الحسن والقبح عند المعتزلة وهذا كاف لنقول إنه قد عرف المنهج النفسي ...ولننظر إليه في قوله: قيل لأعرابي كيف للمراثي أن تكون أجود أشعاركم؟ قال لأنا نقول وأكبادنا تحترق[1]فشعر المراثي مميز لأنه يحمل المشاعر الصادقة لأنه يقال في مناسبات الحزن وقد صدق الأعرابي الذي سجل الجاحظ مقولته عن هذا النوع من الشعر وعبارة تحترق أكبادنا تؤكد على الفراق والحرقة والحزن الشديد الذي ينتاب النفس وبالتالي الأدب هو الرحم الذي يحتضن النفس الإنسانية.

ونجده يقول: بأن الحب يعمي عن المساوي والبغض يعمي عن المحاسن وليس يعرف حقائق مقادير المعاني ومحصول حدود لطائف الأمور إلا عالم حكيم ... وإلا القوي المنة الوثيق العقدة والذي لا يميل مع ما يستميل الجمهور الأعظم...[2]أي يدعو إلى عدم الانحياز بل الامتثال للمشاعر والأحاسيس الصادقة التي لها صدى وتأثير في النفس.

وهكذا نصل إلى الأهمية المعرفية لهذا المنهج في النقد الأدبي وهي أنه يتعامل مع الإنتاج الإبداعي من كافة جوانبه بدءا بمؤلفه وصولا إلى البيئة والتاريخ، كما أنه لا يهمل القيم الفنية الخالصة ولا يغرقها في خضم الأبحاث التاريخية أو الدراسات النفسية وأنه يجعلنا نعيش في أجواء الأدب الخاص، دون أن ننسى هذا أنه أحد مظاهر النشاط النفسي وأحد مظاهر المجتمع التاريخية إلى حد كبير أو صغير وهذا هو الوصف المنطقي والشامل للفنون والآداب.[3]

وبالتالي الاستعانة بالمنهج التاريخي والنفسي والفني من أجل الكشف عن كل جوانب النص وتحليله تحليلا دقيقا لأن هذا المنهج يعين الناقد على اكتساب الخبرة في ممارسة عدة مناهج على مختلف النصوص وبالتالي تحديد القراءة النقدية المناسبة للنص.

نستخلص مما وردناه أن مدونات الجاحظ التراثية فيها إشارات واضحة تؤكد وجود المنهج التكاملي من ناحية المضمون ،أما من ناحية المصطلح لم يكن يطلق عليه منهجا متكاملا

[1]ينظر: المصدر نفسه ،ص:321/2

[2]ينظر: المصدر نفسه ، ص:90/1

[3]ينظر: السيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص:256

وهذا يعني أنه كممارسة كان موجود ولكن يفتقر للضبط والتنظيم والمصطلح وهذا يرجع لطبيعة العصر الذي لم يسمح بضبط المعارف.

كما يتضح لنا أيضا أن التواصل مع التراث النقدي البلاغي ضرورة يومية من أجل تحقيق شرط التواصل بين الأزمنة ولكن الهدف الأسمى من ذلك هو تحقيق إمكانيات التقدم.

.3. خاتمة:

سبق النقد العربي القديم للعديد من المقولات النقدية والبلاغية التي تناولها الدرس النقدي الحديث ومن بين هذه المقولات المنهج التكاملي، وقد أسهم ثلة من البلاغيين والنقاد العرب في بنائه من خلال ما سطروه من مؤلفات واقتصرت دراستنا على استجلاء ملامح المنهج التكاملي عند الجاحظ من خلال كتابيه البيان والتبيين والحيوان ومن أبرز النتائج المتوصل إليها ما يلي:

-معظم المقولات النقدية ليست نتاج مقاربات غربية بل لها أصول في التراث النقدي والبلاغي

-المنهج التكاملي قديم في مضمونه وجديد في مصطلحه

-المنهج التكاملي هو منهج يتناول العمل الأدبي بكافة جوانبه

-الجاحظ أحد كبار علماء المعتزلة في عصره يسير في مؤلفاته على المنهج التكاملي فيتناول البيئة والتاريخ والقيم الفنية والقيم النفسية وبالتالي المنهج التكاملي يحمل سمات مناهج أدبية مختلفة(المنهج التاريخي ، النفسي ، الفني) ويأخذ من كل منهج ما يراه معينا لتحليل النصوص.

ومن جملة الاقتراحات التي يتقدم بها البحث :

-التراث العربي جزء أساسي من تاريخنا لابد من الحفاظ عليه وتوسيع البحث فيه.

-قراءة التراث العربي لا تقوم فقط على استحضار الموروث بل تتعدى الى استقراء المدونة النقدية بحثا عما يكمن في نصوصها من تصورات ومفاهيم يمكن أن تضاهي ما توصل إليه الغربيون .

-الوقوف على مناهج البحث التي كان النقاد والأدباء يتبعونها في القديم وربطها مع ماهو معروف في الدرس الحداثي وبالتالي معرفة أوجه التقارب والتباعد.

-قراءة الكتب العربية القديمة ونفض الغبار عليها .

تشجيع الباحثين المتخصصين في النقد الأدبي على القيام بأبحاث أكاديمية تجمع بين الدرس النقدي القديم والحديث وتحاول استنباط مواضيع جديدة تخدم البحث العلمي وبتعبير آخر معرفة أسرار الدرس النقدي من مراحله الجنينية إلى مراحله التأسيسية.

تدريب الباحثين على معرفة أصول المناهج النقدية الغربية وملامحها في التراث العربي القديم

قائمة مراجع البحث:

(1)- محمد أبو العلا الحمزاوي (2014) المنهج المتكامل في البلاغة والنقد بين القدماء والمحدثين رؤية وتطبيق، جامعة جازان.

(2)- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(1385،1965) الحيوان، تح: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، الطبعة الثانية.

(3)- سيد قطب (2003، 1424) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق ،الطبعة الثامنة

(4)- يوسف وغليسي (2002) الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض بحث في المنهج وإشكالياته، د.ط، اصدارات رابطة الإبداع الثقافية ،الجزائر

(5)- مريم محمود علي البصول ،(2012 ، 2013) الأنظمة السيميائية في التراث العربي (دكتوراه) ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك، الأردن .

(6)- محمد حسين عبد الله المهداوي (2004) نظرة في الأسلوب والأسلوبية محاولة في التنظير لمنهج أسلوبي عربي ، مجلة أهل البيت ، العدد الثاني.

(7)منير سعدي (1434،2013) مفهوم المنهج الفني عند سيد قطب وعلاقته بنظرية الجمال الفني في القرآن الكريم، مقال مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية العدد السادس جويلية .

(8) روابح منال (2018) تحليل الخطاب الأدبي وفق المنهج المتكامل بين التنظير والتطبيق –التجربة النقدية العربية أنموذجا .

(9) الجاحظ ،(1995)البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،ج4

(10) جورج غريب (1967) الجاحظ دراسة عامة ، دار الثقافة ، بيروت.